



# اغتيال القادة في حرب الشبكات محددات النجاح والفشل

بقلم

حنين محمد الوحيلى

باحثة في مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية



تأسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية عام 2008 بمدينة بابل (الحلة)، وحصل على شهادة التسجيل من دائرة المنظمات غير الحكومية المرقمة 1Z71874 بتاريخ 2012/12/25، بوصفه مركزاً علمياً بحثياً يهتم بدراسة الموضوعات السياسية والاجتماعية، فضلاً عن الاهتمام بالقضايا والظواهر الراهنة والمحتملة في الشأن المحلي والإقليمي والدولي، ويتعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجه، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

- لا يجوز إعادة نشر أي من هذه الأوراق البحثية الا بموافقة المركز، وبالإمكان الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملاً.
- لا تعبر الآراء الواردة في الورقة البحثية عن الاتجاهات التي يتبناها المركز وإنما تعبر عن رأي كاتبها.
- حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية.

## للتواصل

مركز حمورابي

للبحوث والدراسات الاستراتيجية

العراق - بغداد - الكرادة

+964 7810234002

hcrsiraq@yahoo.com

www.hcrsiraq.net

شهدت طبيعة الحروب المعاصرة تحولات بنيوية عميقة، لم تعد فيها القوة العسكرية تقاس فقط بحجم القدرات النارية أو عدد القوات بل بمدى القدرة على توظيف المعلومات وربطها ضمن منظومات متكاملة تتيح سرعة الفعل ودقته. في هذا السياق برز مفهوم "حرب الشبكات" (Network-Centric Warfare) بوصفه أحد أبرز الأطر النظرية التي أعادت تعريف كيفية إدارة العمليات العسكرية حيث يقوم على دمج أنظمة الاستشعار والاتصال والقيادة ضمن شبكة موحدة، تمكّن من تحقيق تفوق معلوماتي ينعكس مباشرة على فعالية القرار العسكري. وقد ارتبط تطوير هذا المفهوم بأدبيات عسكرية أمريكية معاصرة لاسيما أعمال (David S. Alberts) و (John J. Garstka) اللذين أكدوا أن التفوق في ساحة المعركة لم يعد نتاج امتلاك الموارد فقط، إنما نتيجة القدرة على تنظيمها ضمن شبكة معرفية ديناميكية.

وعليه فقد تطورت استراتيجيات استهداف الخصم لتشمل ما يعرف باغتيال القادة (Leadership Targeting)، وهي مقاربة تقوم على توجيه ضربات دقيقة نحو الشخصيات القيادية المؤثرة بهدف إحداث خلل في عملية اتخاذ القرار وتقويض التماسك التنظيمي. وتستند هذه الاستراتيجية إلى افتراض مفاده أن القيادات تمثل مراكز ثقل داخل البنية التنظيمية، وأن غيابها من شأنه أن يؤدي إلى إرباك أو حتى شلل في الأداء العام. وقد عززت حرب الشبكات من فعالية هذا النمط من الاستهداف، إذ أتاحت بفضل التكامل المعلوماتي تحديد مواقع القيادات وأنماط تحركها وعلاقاتها ضمن الشبكة، ما جعل اغتيال القادة أداة أكثر دقة وأقل كلفة مقارنة بأساليب الاستنزاف التقليدية. غير أن فاعلية هذه الاستراتيجية لا يمكن فهمها بمعزل عن طبيعة البنية التي تستهدفها. فبينما تحقق اغتالات القادة أثراً ملموساً في التنظيمات الهرمية التي تعتمد على مركزية القرار، فإن هذا الأثر يتراجع بشكل ملحوظ في مواجهة الفاعلين الذين يتبنون بنى تنظيمية مرنة ذات طابع شبكي-عقائدي، حيث لا تختزل القيادة في فرد بعينه بل تتوزع على مستويات متعددة، وتستمد شرعيتها من منظومة فكرية قادرة على إعادة إنتاج ذاتها. في مثل هذه الحالات لا يؤدي غياب القائد إلى انهيار التنظيم، بل قد يفضي إلى إعادة تشكيله بصورة أكثر تكيفاً مع الضغوط.

انطلاقاً من ذلك تطرح هذه الدراسة إشكالية رئيسة مفادها: إلى أي مدى يمكن لاستراتيجية اغتيال القادة، ضمن إطار حرب الشبكات، أن تحقق حسماً استراتيجياً في مواجهة فاعلين يمتلكون بنى عقائدية مرنة؟ وتفترض الدراسة أن نجاح هذه الاستراتيجية يظل مشروطاً بطبيعة البنية التنظيمية للخصم، وأنها تفقد جزءاً كبيراً من فعاليتها في مواجهة التنظيمات التي تعتمد على عقيدة راسخة وآليات مؤسسية تتيح استمرارية القيادة وتداولها. وعليه تسعى هذه الدراسة إلى تحليل العلاقة بين "حرب الشبكات" و"اغتيال القادة" من جهة وحدود تأثيرهما في البيئات التنظيمية المعقدة من جهة أخرى من خلال تأصيل المفاهيم وبيان شروط النجاح والفشل تمهيداً لفهم أعمق لتحولات الصراع في الحروب الحديثة.

يتحدد نجاح حرب الشبكات واستراتيجية اغتيال القادة إلى حدٍ كبير بطبيعة البنية التنظيمية للفاعل المستهدف، إذ لا تعمل هذه الأدوات في فراغ بل تتفاعل مع أنماط مختلفة من التنظيم والشرعية وآليات اتخاذ القرار.

استهدافها إلى إرباك مباشر في سلاسل الأوامر وانخفاض مستوى التنسيق وربما تفكك جزئي في البنية. وعليه تكون حرب الشبكات أداة فعالة، لأنها لا تكتفي بتحديد موقع القائد بل تكشف أيضاً شبكة علاقاته واتصالاته ما يتيح توجيه ضربات مركزة تحدث أثراً تراكمياً في بنية التنظيم.

غير أن هذا النمط من الفاعلية يفترض ضمناً أن التنظيم يعتمد على نموذج "القائد- المحور" وهو افتراض لا ينطبق على جميع الفاعلين، خصوصاً في البيئات التي شهدت تحولات نحو أنماط تنظيمية أكثر مرونة. فالتنظيمات ذات الطابع "الشبكي- العقائدي" لا تقوم على مركزية صارمة انما على توزيع نسبي للوظائف القيادية بحيث تتحول القيادة إلى دور قابل للتداول لا إلى موقع ثابت مرتبط بشخص بعينه. في هذه الحالة لا يفضي اغتيال القائد إلى فراغ طويل الأمد بل يُفَعِّل ما يمكن تسميته بآليات "إعادة ملء الفراغ" حيث تُعاد هيكله القيادة بسرعة ويُعاد توزيع الأدوار بما يضمن استمرارية الفعل.

- ترتبط هذه القدرة على التكيف بعاملين رئيسيين:

- البنية الشبكية التي تقلل من الاعتماد على نقطة مركزية واحدة.

- البعد العقائدي الذي يمنح الفعل التنظيمي شرعية مستقلة عن الأفراد.

فالعقيدة هنا لا تفهم بوصفها بعداً معنوياً إنما إطار مُنظَّم للسلوك يحدد الأهداف ويضبط الأولويات وينتج نمطاً من الالتزام يتجاوز الارتباط بالشخصيات القيادية. فيصبح فقدان القائد حدثاً مؤثراً على المستوى التكتيكي لكنه غير كافٍ لإحداث انهيار استراتيجي.

تتجلى هذه الإشكالية في نماذج الدول التي تجمع بين البنية المؤسسية والبعد العقائدي، حيث لا تتركز السلطة في موقع واحد بل تتوزع بين مؤسسات متعددة تتقاطع فيها الأدوار السياسية والعسكرية والفكرية. في مثل هذه النماذج يصبح اغتيال القادة على فرض حدوثه عاملاً ذا تأثير محدود في إحداث اختلال شامل، نظراً لقدرة النظام على امتصاص الصدمة عبر إعادة توزيع الوظائف وتفعيل بدائل جاهزة ضمن هيكل تنظيمي أوسع. ويعزز ذلك وجود ثقافة تنظيمية تقوم على الاستمرارية، لا على الفردانية، ما يقلل من أثر الاستهداف الشخصي.

انطلاقاً من ذلك يمكن القول إن الفجوة الأساسية في استراتيجية اغتيال القادة لا تكمن في أدواتها بل في افتراضاتها الضمنية. فهي تفترض أن الخصم يتصرف وفق منطق تنظيمي قابل للتعطيل عبر استهداف عناصره القيادية، بينما تظهر بعض الحالات أن هذا الافتراض لا يصمد أمام الفاعلين الذين أعادوا تعريف العلاقة بين القيادة والبنية وتم تحويلها من علاقة تبعية إلى علاقة وظيفية قابلة للاستبدال. وبهذا المعنى فإن نجاح هذه الاستراتيجية يظل نسبياً ومشروطاً وقد يتحول في بعض الأحيان إلى عامل يدفع نحو مزيد من التكيف وإعادة التشكل بدلاً من التفكك.

وعليه فإن "حرب الشبكات" رغم ما توفره من تفوق معلوماتي وقدرة عالية على الاستهداف الدقيق، لا تضمن بمفردها تحقيق حسم استراتيجي ما لم تتقاطع مع فهم عميق لطبيعة البنية المستهدفة. فالتفوق في المعرفة لا يعني بالضرورة التفوق في النتائج، خصوصاً عندما يكون الخصم قادراً على تحويل الخسارة التكتيكية إلى فرصة لإعادة إنتاج القوة ضمن إطار عقائدي وشبكي مرن.

تُظهر قراءة تفاعلات "حرب الشبكات" و "استراتيجية اغتيال القادة" أن التفوق التقني والمعلوماتي رغم أهميته لا يترجم بالضرورة إلى حسم استراتيجي. إذ يظل تأثير هذه الأدوات مرهوناً بطبيعة البنية التنظيمية للفاعل المستهدف ومدى اعتماده على الفرد أو الفكرة، وعلى المركز أو الشبكة. وفي هذا السياق تكشف التجارب المعاصرة أن الفاعلين الذين يستندون إلى عقيدة راسخة وبنية تنظيمية مرنة يمتلكون قدرة أعلى على امتصاص الصدمات، وتحويل الخسائر القيادية إلى عمليات إعادة إنتاج تُظهر قراءات تفاعلات "حرب الشبكات" و "استراتيجية اغتيال القادة" أن التفوق التقني والمعلوماتي رغم أهميته لا يترجم بالضرورة إلى حسم استراتيجي. إذ يظل تأثير هذه الأدوات مرهوناً بطبيعة البنية التنظيمية للفاعل المستهدف ومدى اعتماده على الفرد أو الفكرة، وعلى المركز أو الشبكة. وفي هذا السياق تكشف التجارب المعاصرة أن الفاعلين الذين يستندون إلى عقيدة راسخة وبنية تنظيمية مرنة يمتلكون قدرة أعلى على امتصاص الصدمات، وتحويل الخسائر القيادية إلى عمليات إعادة إنتاج مستمرة للفاعلية. وعليه فإن الرهان على اغتيال القادة كأداة للحسم يظل رهاناً محدود الأفق، ما لم يقترن بفهم عميق للمنظومات التي يتجاوز فيها تأثير الفكرة حدود الأفراد وتغدو فيها القيادة وظيفة مستمرة لا تتوقف عند غياب أشخاصها.